اللغة العربية

في طور النشوء والتكوّن (تتمة)

لحضرة الاب انستاس الكرملي

٤ كيف تُرد اللفظة الثلاثيّة الى اصلها الثنائيّ

لقد تقرَّر انَّ كل لفظة ثلاثيّة هي من اصل ثنائيّ الّا ما ندر وشذّ. فيجب علينا الان ان نعلم كيف تُردُّ الكلمة الثلاثيّة الى اصلها الثنائي. فنقول: قد المعنا الى ان المتزجات والحاشيات او المذيلات لا تخلو من ان تكون من أحد حروف الذلاقة وهي ل ر ن ب ف م. ومعها حروف العلّة (و ي ا) والهمزة والهاء. وكلهنَّ من اسهل الحروف واسلسها واذلقها على اللسان تتدمج في الكلمة وتكسبها قوّة وحياة تُطق بثبتة. الّا انهُ قد يتّفق ان يكون في اللفظ الثلاثي اكثر من حرفٍ من هذه الحروف المذكورة بل وقد تكون الثلاثة كلها بأسرها مأخوذة منها. مثل «بَرَمَ» فكيف نهتدي الى الاصل الثنائي الاب

نجيب: تؤخذ اللفظة فينظر اليها الباحث اللغوي بعين التحقيق فان رأى في الكلمة حرفًا واحدًا من الحروف المشار اليها سهل عليهِ معرفة الاصل. وان راى فيها حرفين او اكثر فحينئذٍ ينظر الى اللفظة من جهة مشابهتها لأقرب صوتٍ طبيعيّ يطابق المعنى وهذا يتوفّق اليهِ باسرع من الطَّرْف اذا كان يعرف مؤدّى الكلمة واذا كان يجهلهُ او لم يكن هنالكَ صوت لا في الكلمة ولا في الطبيعة فيطرح حينئذٍ من الكلمة ما كان من حروفها اخفّ واسهل على اللفظ لسهولة دخولهِ وخروجهِ بدون ان يضرّ بتركيبها ضررًا مذكورًا

واذ قد اتضح ما مرَّ بك يحسن بنا الآن ان نذكر شاهدًا على كل حالٍ من هذه الاحوال الثلاثة يغني من وجود حرف او حرفين او ثلاثة من الحروف الزوائد القارّة في الكلمة. فاذا أردتَ ان تعرف مثلًا الحرفين الاصليين في كلمة «شرق» فانك لا ترى في هذهِ الثلاثة الّا الرّاء من حروف الذلاقة ومن ثمَّ كانت هي الزائدة واتضح لك ان الاصل الثنائي هو «ش ق» وشروق الشمس من شقّها اديم الظلام

او حجابهُ واضح وهو للشمس مجاز اذ لا حكاية صوت هناك ولنيره حقيقة لا شبهة فيها

واليك الشاهد الثاني «أكل» ففيه الهمزة واللام معًا وهما من حروف الزيادة القارَّة فاي الحرفين هو الزائد الذي أُتي به بعد ان صيغت اللفظة من الحرفين الثنائيين الاصليين؟ — فلا جرم انهُ الهمزة لسلاستها والاصل «ك ل» وهو حكاية صوت المضغ اذا كان في الفم طعام يُسمع صوتهُ من وقع الاسنان بعضها على بعض. ويوافقهُ في اللاتينيَّة «ك م» يعني comedere وقد قلنا غير مرَّة ان الحروف القريبة المخرج تتعاور في ما بينها وتتبادل على سبيل المعاونة والمجاورة

والمثال الثالث «بَرَم» فكلها من حروف الذلاقة فاذا نظرنا من وجهٍ الى حكاية صوت البرم نراها «بر» او «ر» واذا نظرنا من الوجه الآخر الى أضعف الحروف جرسًا نراها ولا شك الميم المتطرِّفة. ولو لم تكن متطرفة لكانت الباء اضعف منها. ومن ثم يكون الاصل الثنائي «بر» واما الاجانب فانهم اشتقوا اللفظة من اصل «ر» فقال اليونان στρεφω وقال اللاتين torquere ووضع الفرنساويون عدة كلم منها: tordre, tresser, tourner وقال الانكليز braid كالعرب وقالوا ايضًا tress كالفرنسيس

وقد تحتمل الكلمة (اذا كان فيها حرفان ذولقيَّان أو اكثر) تأويلين او اكثر. مثال ذلك لفظة «قر» فكل من الميم والراء هو من الاحرف المذكورة فأيهما الاصل وايهما المزيد. قلنا: يُحتمل ان تكون الراء هي القحمة فتكون اللفظة من مادَّة «ق م» التي يتفرَّع منها القيام وما ضاهاهُ. فيكون معنى القمر هذه السيَّارة التي «تقوم» من الافق سريعًا. وقد تكون الميم هي المُدَّمجة فتكون الكلمة من مادة «ق ر» التي يتفرع منها القَرْر وهو قطع الشيء من وسطهِ خرقًا مستديرًا كهيئة القمر عند ما يبدو هلالًا. فيكون المعنى تلك السيَّارة التي تبدو مقوَّرة من بين جميع السيَّارات

على ان هذه القاعدة قاعدة حذف الحرف الأذلق لا تكفي وحدها في اغلب الاحايين بل تحتاج الى ان تُضمَّ الى قاعدة ثانية لتتمّ بها الفائدة وذلك اما لخلوّ الكلمة من هذه الحروف بتاتًا. واما لانك اذا حذفت الحرف الأذلق لا تتلقَّاك الفائدة المنشودة بل تلتزم بان تحذف احيانًا الحرف الاذلق نفسهُ وتبقي ما ليس فيهِ اثر الذلاقة. ومن ثمَّ

وجب ان تعرف هذه القاعدة الثانية وهي: اذا اردت مزيد تحقيق وتدقيق في معرفة الاصل الثنائي يحسن بك ان تعارض اللفظة بما يقابلها في اللغات الاخوات وفي اللغات الغربيّة. فانّ هذه المعارضة تفتح لك ابواباً تبوح لك باخفى الاسرار وباغمض المسائل وادقها مدبًا

فهذه لفظة «القمر» اذا قابلناها بما يقابلها في الارامية ܣܗܪܐ نرى ان الاصل الثنائي في هذه هو «س ر» ويوافقها في اللاتينيّة luna والاصل الثنائي فيها «ل ن» والقمر باليونانيّة σελήνη والاصل الثنائي فيها «س ل» ولليونان لفظة μήν للدلالة على الهلال والاصل فيه «م ن» واسم القمر بالانكليزية moon والاصل فيه «م ن» فانت ترى ان القاف في العربيّة هي الزائدة بعد المقابلة فتكون المادة الأمّ هي «م ر» ومنها في العربيّة «مرّ» فيحتمل ان يكون اصل القمر من «مرّ» لمروره بناحية السماء وعبوره اياها. وقد زيدت القاف لغاية هي خفيّة اليوم عن ابصارنا (١

وكذلك القول في "الشمس" فالحرف الوحيد الاذلق الذي يحسن حذفهُ لمعرفة اصل المادّة هو الميم. لكن لما كانت القاعدة الاولى لا تكفي في ذاتها فلا بُدَّ من الجمع بينها وبين القاعدة الثانية وهي معارضتها باللغات الاجنبيّة الوقوف على الاصل المكين. فاسم هذا النجم باليونانيّة ἥλιος والاصل الثنائي فيها «ه ل» او «أ ل» وباللاتينيّة sol والاصل فيها «س ل» وبالانكليزيّة sun والاصل فيها «س ن» وفي اللغات السامية كلها كالعبريّة والارميّة والاشوريّة «شمش أو شمشا» يعني بشينين والاصل هو «ش م» فمن هذه المعارضة يتّضح انهُ لا يحسُنُ بك ان تعتبر الميم هي المفحمة ولو كانت ذلك بل السين وان كانت غير ذلك لسبب قصور القاعدة الاولى في حدّ ذاتها. واما كانت مادّة «ش م» او «س م» تدل على الارتفاع (من ذلك: الشَّمم والشموخ والشُّرف والسُّمُوّ والسُّرك والسُّرق) كان معنى الشمس "النير المرتفع او العالي"

(١) الارجح ان العرب لما لاحظوا ما في حرف القاف من المزايا الخاصة به اذا ما وقع في صدر الكلمة توجوا بها لفظة «مر» فصارت «قمر». ومن خصائص هذا الحرف اذا وقع في الاخر الدلالة على القوة والقدرة والرئاسة والجمع. ومن ثم فيكون محصّل هذه اللفظة «هذه السيارة التي قد اقيمت بمنزلة سلطان الليل بضيائه الذي يكف ضياء سائر الكواكب والنجوم الليلية وقد جمع فيه نور الشمس الذي يستمدُّه منها»

ولا جرم ان درس اللغة العربية وتطبيق الفاظها على هاتين القاعدتين مما من ألذ الدروس وأفودها للعقل واطيبها للخاطر وارضاها لله. دَعْ عنكَ ما يتكشف بين يديك من الاسرار الغريبة وتتضح لعامك غوامض كانت الى هذا العهد بعيدة الوصول اليها . والبَسْط في هذا الموضوع يزيد مبحثنا جلاء من جهة وثباتاً وقراراً من جهة اخرى

وها نحن نختار الآن اربعة الفاظ ناضين عنها ثياب التستُّر والتخفي ومُنضين اليها ركاب التأثر والتحفي وهي اسماء اربعة فصول السنة الربيع والصيف والخريف والشتاء فنقول :

ان المادَّة الأم في « الربيع » هو « رع » بعد حذف الباء الذلقاء التي هي اضعف من الراء التي هي اختها في المخرج. ومن « رع » يتفرّع اقرب لفظ اليها وهو رَاعَ الشيء غا وزاد. فيكون الربيع فصل النموّ والزيادة كما هو الواقع. ومن الرَّبع تولّد الربيع ومنهُ : ربعت الابل : سرحت في المرعى واكلت كيف شاءت وشربت (وبذلك اي بالاكل والشرب يتوفّق ويتمّ نموُّها)

ولفظة « الصيف » ماخوذة من مادة « ص ف » ومنهُ الصَّفو نقيض الكدر. والاجوف والناقص من عَهْد واحد في التكوُّن لا بل وقد يتعاوران في اغلب الاحيان . ففصل الصيف هو فصل صفو الجوّ من كل كدر في الماء والسماء كما هو الواقع في بلاد العرب ولو نشأت اللغة العربيَّة في غير تلك الربوع المعهودة بل في البلاد الغربية الشماليَّة او الجنوبيّة لسمّوها باسم يدلّ على الحرارة مثلاً أو على غير ذلك

واما لفظة « الخريف » فمادَّتها التي استمدَّت منها الوجود والاشتقاق هي ولا ريب في ذلك : « خ ف » ومنها : خفَّ الشيء : نقيض ثقُل وقلّ . وسبب تسميته بذلك واضح من ان الاشجار في هذا الفصل تُقطَف اثمارها وتسقط اوراقها فتخفّ مما كان عليها من الحمل وثياب الزينة . وقد يكون كلمة الخريف المشتقَّة من مادَّة « خ ف » إشارة الى الخفاء (لان المضاعف والاجوف والناقص من عهد واحد في التكوُّن وتكاد تكون لغاتٍ عند البعض من العرب ولنا على ذلك شواهد عديدة ليس هذا مقامها) فيكون الخريف قد أُخذ من الخفاء لاستتار قوَّة الاشجار ومائيتها في هذا الفصل من السنة

وقد كفانا العلامة جرجي افندي زيدان مؤونة البحث في سبب تسمية الشتاء بهذا الاسم قال جرسهُ الله في تاريخ اللغة العربية ص ١٣ ما هذا نصُّ عبارته « اننا اذا راجعنا هذه المادة في اللغات السامية رأيناها الاصل في دلالتها: « الشرب » او « الري » او « الصب » فهي كذلك في العبرانية والسريانية الى اليوم. وقد اشتقُّوا منها الافعال والاسماء لمعانٍ كثيرة ترجع الى الريّ ونحوه — الا فصل الشتاء. فانهم شقُّوا لهُ كلمة من اصل آخر يقرب منهُ لفظاً. ويؤخذ من مرجحات كثيرة انَّ المادَّة الاصليَّة (شتا) كانت تدلُّ على الرطوبة او الريّ في اللغة السامية فلما تفرَّقت القبائل كما تقدَّم تولَّدت منها المشتقات وتنوَّعت معانيها على مقتضى الاحوال فتولَّد منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف لهُ في العربية وأُهمل معنى الشرب والريّ منها. ومع ذلك فلو تدبَّرت مشتقات هذه اللفظة في اخوات العربية لرأيتها تختلف في الواحدة ثمَّ في الاخرى »

فيتحصَّل مما تقدَّم شرحهُ ان فصل الشتاء هو فصل الامطار وشُرب الأرضين إياها . على ان « شتا » بمعنى رَوَى موجودة في العربية ببعض إبدال وهي « سقى » « وشتا » بمعنى « رَوَى » أقدم عهداً من « سقى ». وما هذه الَّا لغة في تلك. وذلك ان قبيلة من العرب كانت تجعل التاء كافاً في اغلب الالفاظ إلَّا تكن في جميعها. وهذا اما لغةٌ مطَّردة عندهم واما لثغة. فاما كونها لغةً فتشهد على صحَّة ذلك جملة الفاظ وردت على هذه الوتيرة اي انها وردت بالكاف عند قبيلة وبالتاء عند قبيلةٍ أُخرى. قال في خزانة الادب (في هامش ٤ : ٥١٩) في شرحهِ لهذا البيت :

يا ابنَ الزُّبَير طالما عَصَيْكا [وطالما عَنَّيْتَنا إليكا
لنَضْربنَّ بسَيْفنا قفَيْكا]

« قائلهُ راجز من حِمير. كذا في نوادر ابي زيد .... الاستشهاد فيه : في قولهِ « عَصَيْكا ». فان اصلهُ « عَصَيْتَ » فابدل الكاف من التاء لانها اختها في الهمس (كذا وعندنا انها لغة او انها لثغة في الاصل ثمَّ انتشرت فصارت لغة. فبني بغداد ابنتان من أقارب متباعدة لا تستطيع الواحدة منهما ان تلفظ الكاف وكل مرة تحتاجان الى ذلك تقلبان الحرف وتجعلانهِ تاء. فتقولان مثلاً : « تالوتلمة ومتان وترت » في : « كال وكلمة ومكان وترك » وكان سُحيم اذا أنشد شعراً قال : « أحسَنْتَ والله » يريد

« أحسنتَ » (١ اه. ولا نشك ان من قال عَصَيْكا بدلًا من « عَصَيْتَ » قال ايضاً: « عَنَيْكَا » الّا انَّ الرواة غيّروا حيث لم تفهم القافية (راجع حاشية مشرق ١ : ٧٩١)

ومن الالفاظ الحالية من الضمير والدالّة على هذه اللغة الحكيد والحتيد. وهو الاصل. قال الميداني: بالكاف لغة عتيل وبالتاء لغة كلاب (التاج في ح ك د) وعن ابن الاعرابي: امراة عَفْتاء وعَفكاء. ورجل أَفَنْت وأَفَنَك وهو الاخرق (التاج) والإِفْتُ: الإِفك وهو الكذب. ويُقال: أَفَتَهُ عنهُ كأَفَكَهُ: اذا صرفهُ. ووادي لكّة ووادي لتّة من ديار الاندلس (Guadalete) الى غير ذلك من الالفاظ الكثيرة. ثم لمن الكاف صارت قافاً بلغة قبيلة اخرى والشواهد لا تحصى منها: قشيش الافعى وكشيشها والدعكة والدعقة والدقّ والدكّ ودقهُ ودكهُ (راجع ايضاً المزهر ١ : ٢٦٩, ٢٦٢, ٢٦٨, ٢٦٦)

وربّما قُلبت تاء «شتاء» قافاً فصارت «شقى» مباشرةً بدون ان تُنقَل الى الكاف ثمّ الى القاف. ولنا على ذلك ايضاً الفاظ كثيرة مما يشهد انها كانت لغة شائعة في السابق من ذلك: حمار نهّات ونهّاق (عن المزهر ١ : ٢٦٤) والحتيد والحقيد (التاج في ح ف د) والمُستَع والمُستَغ: (ثمر التنضب) وتَبَّ الشيء. وقبَّهُ: قطعهُ. وفي هذه الشواهد ابدال في الصدر والحشو والطرف. وعليه « شَقَى » « وشتاً » من اصل واحد. وشتي الشتاء. شتاء لسقيه الارضين في عهد الامطار كما مرَّ بك شرحهُ

ولولا ضيق المقام وخوف الاطالة لاوردنا لك شيئاً كثيراً من هذا القبيل يأخذ بالالباب ويفتح لك موصد الابواب ويثبت لك ان تتبع مفردات اللغة على هذا النحو من احسن أبحاثها على الطُلّاب

٥ ترتيب نشوء الافعال بحسب قدمها

لقد أسلفنا القول ان المضاعف الثلاثي هو اول ما نشأ من الافعال من بعد ان توفّق الاولون الى النطق بهِ من الالفاظ العربيّة فلا حاجة الى الاعادة بدون افادة. وتلاهُ في النشوء المضاعف الرباعيّ ويحسن بنا هنا ان نستشهد بكلام الشيخ ابرهيم اليازجي اذ قال (في الطبيب سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥)

---

١) لاحظ جيداً ان هذه اللغة انما قلب التاء كافاً كقولهِ: احسنك والله هي غير قلب الكاف تاء كقولهم: « الانت » في « الافك » فهما لغتان متناقضتان اصلهما في النشوء ثنتة في اللسان على ما قدّمنا ذكرهما عن عالمين الابنين البغداديين في عهدنا هذا

(ليس المضاعف الرباعي) الا تكرار الثاني بصورته كما سبق لنا الالماع اليه لا محوّل عن فعّل المثقّل العين بابدال احد طرفي التضعيف كما هو مذهب كثير من اللغويين. ولا ماخوذ من مضاعفين ثلاثيين كما صرّح به بعض المتصدّين للمباحث اللغويّة حيث زعم ان قولهم: هَزْهَز وحَشْحَش إنْ هو الّا هَزَّ هَزَّ وحثَّ حثَّ. واضم لما بنوه كذلك احتاجوا الى التسكين (كذا) وفي هذا التعبير ما لا يخفى. فان مقتضاهُ جمع الساكنين مرّتين في الكلمة مع بقاء الفعل حينئذٍ على ستّة احرف لا اربعة. ويؤيّد ما ذكرناهُ شواهد من اللغة ذهبوا فيها هذا المذهب في التاليف كقولهم: مأمأتُ الشاة وهو حكاية صوتها اذا قالت مَأْ مَأْ وصَهْصَه بهم اي اسكتهم. وحقيقتهُ قال لهم: صَهْ صَهْ وكذلك مَهْمَهَهُ اي كفّهُ بقوله مَهْ وبَخْبَخَهُ اي قال لهُ بَخْ بَخْ وبَسْبَسَ بالناقة اذا دعاها بَسْ بَسْ. ومن هذا القبيل قولهم عَنْعَنَ الحديث اذا قال: حدثني فلان عن فلان. وغير ذلك مما لا شبهة في كونهِ مصوغًا على الوجه المذكور»

قلتُ: وقد يكون المضاعف الرباعي مصوغًا من اصول الاجوف الصحيحة او من الناقص او من المثال وهو مما لم ينبّه اليهِ احد وان اشاروا اليه. والسبب لان الناقص من اصل المضاعف الثلاثي وكذلك الناقص والمثال كما ألمعنا اليهِ غير مرّة في تضاعيف هذه المقالة. قال في اللسان في مادّة مصص:

«في حديث مرفوع: القتل في سبيل الله مُمَصْمِصَة» المعنى: ان الشهادة في سبيل الله مطهرة الشهيد من ذنوبهِ ماحية خطاياهُ كما يُمصمص الاناء الماء اذا رُفرق الماء فيهِ وحُرّك حتى يطهر. واصلهُ من «المرض» وهو النسل. قال ابو منصور: والذي عندي في ذكر الشهيد فتلك مُمَصْمِصة اي مُطَهِّرة غاسلة. وقد تكرّر العرب الحرف واصلهُ مثلٌ ومتُ تَخْتَخَ ببعرهُ. واصلهُ من الاناخة. وتَعَظْعَظَ اصلهُ من الوعظ. وخَضْخَضْتُ الاناء واصلهُ من الخوض» اه المقصود من ايراده

قلت انا: ولو كانت مصمص وحيدة المثال لما اعتُمد عليها. والسبب هو انها قد تكون لغة في الضاد. لانهُ يقال مَضْمَضَ الماء في فمهِ: حرّكهُ بالادارة فيهِ. ومَضْمَضَ الاناء والثوب وغيرهما: غسلهُ ولغة تحويل الصاد ضادًا وبالعكس لغة شائعة عندهم وحروفها لا تحصى

ولا تتوهم ان المضاعف الرباعي يوجد في الافعال فقط بل هو موجود ايضًا في الاسماء. قال في التاج ومثلهُ في لسان العرب:

«جاء في الحديث: فاتينا على جُدْجُدٍ مُتْدمِن. قيل: جُدجُد بالضم: البئر الكثيرة الماء. قال ابو عُبَيد: وهذا لا يُعرف. انما المعروف الجُدّ: وهي البئر الجيدة الموضع من الكلا. قال ابو منصور: وهذا مثل الكُسْكُسَة للكُمّ والرَّفْرَف للرف»

واعلم ان الفائدة المتحصّلة من المضاعف الرباعي غير الفائدة المتحصلة من المضاعف الثلاثي ففي معنى ذلك ضعف بل اضعاف ما في معنى هذا. والرباعي يفيد تكرار مؤدّى الفعل لمّا الثلاثي فلا يُفيد الّا وقوعهُ لا غير. وقد اشار الى ذلك لغويو العرب السابقون. قال في اللسان في مادّة صرر:

« صرّ العصفور: اذا صاح. وصرّ الجُنْدُب يَصِرُّ وصرّ الباب يصرُّ وكل صوت يُشْبِهُ ذلك فهو صرير اذا امتدّ. فاذا كان فيهِ تخفيفٌ وترجيعٌ في اعادةِ ضُوعف كقولك: صَرْصَرَ الاخْطَبُ صَرْصَرَةً كأنّهم قدّروا في صوت الجُنْدُب المدّ. وفي صوت الاخْطب الترجيع فحكموا على ذلك. وكذلك الصَقْر والبازي »

ومثلهُ قال صاحب التاج. وقال الزبيدي في مادة كبب في شرح « فَكُبْكِبُوا فيها وهُم الغاوُونَ »:

قال اهل اللغة معناهُ: دُهْوِروا. وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنهُ اذا أُلقي يُكَبُّ مرةً بعد مرة حتى يستقرَّ فيها

وهناك مضاعف آخر لم يذكرهُ احد من النحاة او اللغويين. وهو ما نُسمّيهِ بالمضاعف الخماسيّ السداسيّ فهو ليس بخماسيّ لان عدد اصول حروفهِ ستة وليس بسداسيّ لان حروفهُ الظاهرة المعدودة خمسة فاطلقنا عليهِ هذه التسمية لنجمع بين الأمرين. وهو ولا ريب فيهِ منحوتٌ من كلمتين متكررتين فخُفّفتا وخُتّتا وجُعلتا في حكم الواحد. مثل قولك شَمَقْمَق فانهُ مركّب من شِمِقّ شِمِقّ. والشِمِقّ الطويل ومثلهُ الشَمَقْمَق الّا ان الزيادة في الحروف تدل على الزيادة في المعنى على ما اثبتهُ ابن فارس. قال صاحب التاج في ع ن ط:

« العَنَطْنَطُ: كَشَمَقْمَق: الطويل من الرجال ومنهم من عمّ بهِ. قال الجوهريُّ: واصل الكلمة ع ن ط (قلت واصل هذا الاصل: « ع ط »). ومنهُ: الأَعْط: الطويل وعاطت الناقة: طالت. والبطر من الظباء: الذي يتطاول الى الشجر ليتناول منهُ. وهذه كلها تدلُّك دلالةً فوق دلالة على ان المضاعف الثلاثي والرباعي والخماسيّ السداسيّ والاجوف والناقص من مَوْرِد واحد) فكُرِّرتْ. وقال الليث: اشتقاقُهُ من عنط ولكنهُ أُردف بحرفين في هجوهِ (والاصح أُردف بشبههِ وقُطع واس اول الثاني لاحكام الوصل والجمع بين الاثنين ليصحّ النحت واصدار معنى جديد غير معنى الثلاثي) . . . وكذلك يوم عَصَبْصَبٌ بيّن العَصَابة. وفرسٌ غَشَمْشَمٌ بيّن الغَشَم ». اه

قلت ومما يُعَدّ من هذا الباب جيش عَرَمْرَمٌ منحوت من عُرام عُرام: ورجل حَوَلْوَل محتال شديد الاحتيال وهو منحوت من حُوَل حُوَل. قال الازهري في شرح هذه اللفظة: « الحَوَلْوَلةُ: الكيسة. وهو ثلاثيّ الاصل أُلحق بالخماسيّ لتكرير بعض

حروفها » اه . والاصل ما اوردنا تعليلهُ . ومثلهُ في قولك عَنشَنَش وهو مأخوذ من العَنَش وهو سَوق الدابة وطردها :

وفي اللغة غير هـذه الالفاظ وقد اجتزأنا بما ذكرنا فرارًا من الاطناب على غير جدوى

ومما يستفاد من هذا الموضوع انهُ اذا وُجد مضاعف رباعي في اللغـة ولم يُذكر في جانبهِ المضاعف الثلاثي يحقُّ لنا ان نحكم ان مدوّني متن اللغـة نَسوهُ لانهُ لا يمكن ان ينشأ مضاعف رباعي بدون ان يكون قد سبقهُ الى الوجود المضاعف الثلاثي . وهذه ملاحظة تزيد اللغة مادةً وحقيقةً

وفي عهد نشوء المضاعف ظهر الناقص والاجوف ايضًا لاننـا نرى هولاء الثلاثة مجموعة دائمًا في وادٍ واحدٍ وكلها ترِد موْردًا واحدًا وكلها ترجع في المعنى الى مَرَدٍّ واحدٍ . وقد علّلنا سبب ذلك بوجيز الكلام في مشتمل العدد ٢ من هذه المقالة . يعني انهُ من بعد ان برز المضـاعف الوجود تطرّق الراضعون الى تحريك الاخر ومدّ الحركة فنشأ الناقص وكأنهم فعلوا ذلك اولًا في الثنائيات التي لا يتمُّ معناها الّا اذا نُطق بها دفعةً واحدةً فيُخرجها المتكلم لكي يسرع في تأدية ما يجول في خاطرهِ ويعبّر عمّا في ذهنهِ ويتلقّاها السامع باسرع ما يمكنهُ ليقف على مُراد المتكلم ويعمل بمـا يتلقّفهُ او يتلقّنهُ عنهُ . واما الاجوف فنشأ اولًا في الثنائيات التي يدلُّ اوّل حرفيها دلالة بيّنةً على المطاوب او يدلُّ دلالة ظاهرة على ما يليهِ من الحرف . وهكذا نشأ هذان الفرعان من أمٍّ واحدةٍ ودبّا من وكرٍ واحدٍ . وفضلًا عن هذا البرهان العقلي لنـا أدلّة عديدة في ما وصل الينا من الاشتقاقات اللغويّة العديدة . ولا بُدَّ من ان نذكر شيئًا منها :

(لطّ) بالامر : لزمهُ . والشيء به : ألصقهُ . (ولطى) الرجل : لزق بالارض . (ولاطَ) الشيء بالشيء : الصقهُ بهِ . ولا وجود في هذه المادة لمضاعف الرباعي . ومن هذا الباب :

(لمّ) الشيء : جمعهُ . (ولملمَ) الشيء : جمعهُ ايضًا . (ولمّا) الشيء يَلمُّوهُ : اخذهُ باجمعهِ (واللِيمُ) الصلح وهو الجمع بين قُلوب الاعداء وحملهـا على الصلح والسلام . والفعل الثلاثي مفقود . (ويَلَملَم) في ياقوت : « ويقال ألَلَمَ والمُلَملَم : المجموع . موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات اهل اليمن » اه . ويجتمعون اليهِ من كل صوب

وحدب من ديارهِ ورُبوعهِ — والشواهد كثيرة يجمع شتاتها من يُحبّ الوقوف على اسرار اللغة

ولنا دليل آخر غير دليل الاستقراء الشخصي وغير دليل العقل وهو دليل النقل. قال ابن الاعرابي: ومن العرب من يقلب احد الحرفين المدغمين ياء فيقول في مَرّ: مَيْرٌ وفي زرّ. زيرٌ وهو الدُجةُ. وفي رزّ: ريزٌ» اه (عن اللسان في مادة زور). وقالوا في انضخَّ: انضاخَ. وفي انقضَّ: انقاضَ وفي كعَّ يكعُّ: كاعَ يكاعُ. وفي زالَّ عمرهُ: زالَ عمرهُ. وفي ضَهَّهُ: ضَاهَاهُ. ومما جاء في هذا الصدد ما اوردهُ التاج في مادة ق ر ي قال:

« قال معاوية بن شكل يذمّ حجل بن نضلة بين يدي النعمان: انهُ مقبل النَعْلَين متنفخ الساقَين. قمر الاليتين. نشّاء بأفراء. قتّال طلباء ببيّاع إماء. فقال لهُ النعمان: اردت ان تَذِمّهُ فمدحتهُ » اه اي اردتَّ ان تذمّهُ فمدحتهُ

هذا من جهة جعل المضاعف اجوف. وأما ما نقلوا عنهم انهم ينقلونهُ الى الناقص ايضاً فتؤيدهُ شهادة ابي عُبَيدة اللغوي الشهير وقد اورد كلامهُ صاحب المزهر (١: ٢٢٥) اذ قال:

قال ابو عبيدة: العرب تنقل حروف المضاعف الى الياء. ومنهُ قولهُ تعالى: « وقد خاب من دساها. » وهو من دسستُ. قولهُ: لم يتسنَّه من مسنون وقولهم سَرّيْتُ وتَسَرّيْتُ من اللباعة. » اه

قلتُ: ومثلهُ. التَسَطّي من التَسَطُّط. والتَقَضّي من التَقَضُّض. والتَظَنّي من التَظَنّن. والتَلَبّي من التَلَبُّب. والمَسبي من المَسبب. والتصدية في التَصَدُّد او التَصْدِيد. والمُرَبّى في المُرَبَّب. ورَبّيتُ في رَبَبتُ (وهذا الباب مشهور في كُتُب التصريف)

وقد وهم صاحب الالفاظ العربيّة بتسميته هذا الباب بالترخيم (٢ (ص ٥٠ من

---

١) وهذه هي عبارتهُ: « الترخيم اهمال الاسم الاخير من الكلمة تفنّناً في اللفظ كقولهم يا ابا الحكا في يا ابا الحكم. وامثال الترخيم كثيرة في العربيّة. منها قولهم: احتصى في احتسى وتجسّى في تجسّم. . . » وقد مرَّ بك في الحاشية (ص ١٠٤) من مقالتنا ان حذف الاخر من الكلمة يسمّى القبض (وفي كتب اللغة يسمّى ايضاً بالقصر) واذا وقع القبض في المنادى يسمّى ترخيماً. والامثلة كثيرة في كلامهم. واغلب الشواهد التي ذكرها المؤلف ليست من قبيل القبض ولا من قبيل الترخيم بل هو من قبيل الابدال لان المشروط في القبض والترخيم « حذف الحرف فقط » بدون تعويض. فافهمهُ

الطبعة الاولى) اولًا : لان الترخيم «هو حذف آخر الاسم في النداء خاصةً» (عن ابن الانباري في كتاب اسرار العربيَّة ص ٩٥) وثانيًا : لانهُ بعد أنْ ذكر شاهدًا على الترخيم الحقيقي يعني قولهُ : «يا ابا الحكَمْ» في : «يا ابَا الحكم» ذكر امثلة ليست من الترخيم بشيء وانما البعض منها من قبيل المضاعف المجهول ناقصًا كتَجَنَّى وقال انَّ اصلهُ تجنَّع والاصح تَجَمُّم . وتحلَّى وتقضَّى الخ والبعض الآخر من قبيل جعل الصحيح ناقصًا كقولهِ : احتسى في احتسب وتجنَّى في تجنَّب وشجا في شجب . . . الخ مع ان الاصحَّ هو ان الصحيح من اصل ثنائي كما اوردهُ هو ثم زادُوا حرفًا آخر لغايات مقصودة

هذا فاذا حفظت كل ما اوردناهُ في هذا الباب باب تبادُل المضاعف والاجوف والناقص الواحد من الاخر ثبت لديك انهُ اذا وُجد بين يديك اجوف بدون مضاعف او ناقص بدون مضاعف عرفت ان المضاعف قد فُقد تدوينهُ او قد تُوصي العهد بهِ او قد أُميت ويحقُّ للقياس اللُّغويّ ان يدوِّنهُ بعد ان يبعثهُ من قبر النسيان او الإهمال او الموت . وهذه ملاحظة لغويَّة عظيمة يُعرف قدرها الرفيع من يبحث عن الأُصول اللسانية ويجمع شتاتها المتفرقة بين قبائلهم المختلفة

ونشأ المثال الواويّ واليائي في عهد نشوء الصحيح يعني بعد أمدٍ مديدٍ من تجشُّع اصول اللغة الاولى . والظاهر من مقابلة اللغات الاخوات الساميات بعضها مع بعض ان المثال اليائي اقدم وجودًا من المثال الواوي وذلك لان امثلة هذا الاخير في العبريَّة والآراميَّة أندرُ ورودًا من ورود الالفاظ المثالية اليائية ولأنَّ ما كان مثالًا واويًا في العربيَّة يقابلهُ في اللغتين السابقتين وفي اللغة السامرية والصابئيَّة والحبشية المثال اليائي فاتَّضح من هذا ان المثال الواويّ العربيّ شاعَ وانتشر في سائر الالفاظ بعد عهد المثال اليائي . ومن الشواهد على ذلك ملك (جَلس ويقابلهُ بالحميريَّة وَثَبَ بمعنى جلس) ملج وُلِد . ملل وَلَوَل مهد وَهَبَ . الى آخر الامثلة التي تتفق فيها اللغات السابيات الاخوات وتفترق عنها اللغة العربيَّة وحدها

ولا شك ان الواو او الياء في المثال الواوي من الزوائد القارَّة اللهم الَّا في الألفاظ التي هي من قبيل المضاعف والموجود في ثُنائيها الواو في اصل الوضع من مشابهة الصوت فحينئذٍ تكون كل من الواو والياء اصليَّة . ففي وَلَول مثلًا الواو فيها اصليَّة واما في وعد فانها مترجة يعني ان الاصل في اللفظة «ع د» لان الواعد يعدُ

اقسام الوقت لانجاز وعده . ووخطهُ الشيبُ من «خ ط» كانهُ رسم كتابةً بيضاء على حاشية سوداء او كأنَّ الشيب كتب احرفًا سوداء (اي ابقى شعرًا اسود) على قرطاس ابيض (يعني على الراس الذي قد زاد فيه الشيب) وهكذا نقول: وَخَمَ من خمَّ . ووَخَزَ من خزَّ . . . . الخ

واما اللفيف بقسميهِ فالمفروق منهُ اقدم من المقرون ويشبه الناقص في تكوُّنهِ . واما المقرون فانهُ اقرب عهدًا ولن كان تكوُّنهُ من قبيل تكوُّن أخيهِ ومن عهدهِ . الَّا انهُ بالنسبة الى الاوَّل هو الثاني وذاك البكرُ عند تصوُّرهِ في داخل الفكر

وكان يجب ان نسكت هنا عن تكوُّن الهموز لأنهُ لم ينشأ في عهد اللغة الاول كسائر اخوتهِ (ما عدا همزة الاول فانهُ قديم النشأة) بل نشأ في الطور الثالث من اطوار اللغة يعني في طور الانضمام والتجمُّع او طور عهد الجاهليَّة يعني في القرن الثامن او السابع قبل المسيح الَّا اننا نتعرَّض للكلام عنهُ مناسبةً للمقام ولأنَّ مقتضى الحال يُوجبهُ . فنقول:

من البديهيِّ ان همزة الفاء نشأ من قديم الزمان لان الالف اذا ما وُضعت في راس الكلمة امَّا من قبيل قلب الاجوف او الناقص بأن نُقلَتْ الفهما الى الاول واما من قبيل ان الالف سهلة الانسلال الى بدء الكلمة وانهُ لا يمكن ثبوتها الَّا بان يُتلفَّظ بها اصبحت تلك الالف همزةً لا محالة . وهذا ما لا مشاحَّة فيهِ ولا نزاع . واللغات الاخوات متَّفقة مع اللغة العربيَّة لتشهد بقدم هذا النوع من الهموز

واما همزة العين فهو قليل في اللغة الارميَّة وهو اقلّ منها في اللغة العبرية وهذا دليل على انَّ الهموز ليس من اصل هاتين اللغتين وانما قد تطرَّق اليهما من اللغة العربيَّة . واما همزة اللام فهو أندر وجودًا في الارمية من همزة العين فيها واغلب ما جاء همزة اللام في العربيَّة فهو ناقص في الارمية مثل صهـ (قرأ) صهـ (يَرَأَ) صهـ (شأ) . بل اعجب من هذا انهُ لم يُسمع في الارميَّة مجيء فعل ثلاثيّ مجرَّد همزة اللام وكل ما ورد من هذا القبيل فهو من المزيدات إلَّا فعلٌ واحدٌ جاء مجرَّدًا وهو مع ذلك همزة اللام يعني فعل صهـ (قَنَأَ واحمرَّ وتشنَّج وابغض وحقد) وذلك في مراثي ارميا ٥ : ١٠ وهو ولا شك في ذلك منقول عن العرب . لأنَّ العبريين أنفسهم يعتبرونهُ ناقصًا اذ ان

مهموز اللام لا يوجد في لغتهم البتة وعليه فيكون المهموز قد نشأ بين ظهراني قبائل العرب في القرن الثامن او السابع للمسيح ومنهم اتصل بجيرانهم العبريين والارميين. اما الصابئية والحبشية والسامرية فهن خاليات من مهموز اللام والعين. فاحفظ ما مر بك تُصِبْ

هذا ما نتوفق الى العثور عليه اذا ما عارضنا اللغات الاخوات الساميات بعضها ببعض بعين النقد والاعتبار. ومما يدعم هذه الحقيقة ما نقلهُ الينا ائمة العرب المحققين من الشواهد العديدة التي دونوها في كُتُبهم مما يدلنا على ان مهموز العين كان في الاول اجوف. وكان مهموز اللام في السابق ناقصاً. من ذلك ما اوردناهُ في مادة « ل ط » فقد جاء في مهموز العين: لأطهُ: امرهُ بامرٍ فألحَّ عليهِ. وبسهمٍ اصابهُ بهِ. وبالعصا ضربهُ بهِ. وقالوا في الاجوف: لاطَ في الامر: ألحَّ. وفلاناً بعينٍ او بسهمٍ: اصابهُ بهِ. ولاط الانسانَ ضربهُ. فالمعنى الاصلي والفرعي واحد في المرجح

وذكرنا مادة « ل م » فقالوا في اجوفهِ: اللِيم وهو الصلح. وقد بيَّنا ان الصلح ليس الَّا الجمع بين قلوب الاعداء وحملها على الوفاق والسلام . . . ولا جرم ان الثلاثي مفقود ولما همزوهُ قالوا: لأمهُ اصلحهُ. والجرحَ والصدعَ شدَّهُ وجمعهُ. (وهو المعنى المتحصل من مادة ل م) مما يحملنا على الظنّ بان الاجوف الثلاثي كان بهذا المعنى ايضاً وقد فُقد او نُسي تقييدهُ

ولما صاغوا الناقص من هذه المادة قالوا: لأما الشيء يلأمهُ: اخذهُ بأجمعهِ. ولما همزوه بعد ذلك قالوا: لأمَ الشيءَ: اخذهُ اجمع. فنتج من ذلك وثبت ان الاجوف والناقص هما اللذان أنتجا مهموز العين واللام تتاجاً لا يحتمل الريب او التوقف في الظنّ وانهما سبقا وجود هذين الفرعين سبق الاب للولد في التكوُّن والوجود. واذا استقريت جميع موادّ الناقص والاجوف وقابلتها بمعاني موادّ مهموز اللام والعين رأيتها واحدة وحيث لا ذكر لواحدٍ منها يُعتبر منسيًّا او مفقوداً لا غير. وهذا باب آخر يتسع به مجال اللغة وكشف غوامض اسرارها الخفية

ومما يزيدنا اثباتاً في هذا الراي المكين الذي لا يقبل الزعزعة قولُ ائمة اللغة انفسهم وذلك بصريح العبارة . واول كل شيء ان قريشاً وهي أفصح العرب لساناً لم تكن تعرف النبر أي الهمز وبقيت كذلك الى ظهور الاسلام

فقد جاء «في الحديث: قال رجل للنبيّ صلعم يا نبيء الله. فقال: لا تَنْبِرْ باسمي اي لا تهمز. وفي رواية: فقال: إنّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لا نَنْبِرُ». والنبرُ همز الحرف ولم تكن قُرَيْش تهمز في كلامها. ولمّا حجّ المهديُّ قدّمَ الكسائيَّ يُصلّي بالمدينة فهَمَز فانكر اهل المدينة عليه وقالوا: تَنْبِرُ في مسجد رسول الله صلعم بالقرآن» اه بحرفه من اللسان في مادة (نبر)

وهنا محلّ حكاية وقع فيها سوءُ فهم. فقد جاء في تاج العروس في مادة دفأ ما هذا نقلهُ:

«الادفاء هو القتل في لغة بعض العرب. وفي الحديث: أُتي بأسير وهو يُرْعَدُ (من البرد) فقال لقوم: اذهبوا به فأَدْفِئُوهُ. فذهبوا به فقتلوهُ. فوَداهُ رسول الله صلعم (كما في الصحاح. قال ابن الاثير): اراد الادفاء من الدَّفء. وان يُدْفِئَ بثوب فحسبوهُ بمعنى القتل في لغة اهل اليمن. واراد أدْفِئوهُ بالهمز. فخفّفهُ (شذوذًا) وتخفيفهُ التياميُّ ان تجعل الهمزة بين بين لا ان تحذف لانّ الهمز ليس من لغة قُريش. فامّا القتل فيقال فيه أَدفَأْتُ الجريح ودفَأْتُهُ ودَافَيْتُهُ: اذا اجهزتَ عليه

وقال صاحب التاج في مادة دأب:

«أدْأَبَهُ: احوجهُ الى الدؤوب. عن ابن الاعرابي. وانشد:

اذا توافوا آدَبُوا أخاهم

اراد: «أدْأَبوا» فخفّف لانهُ لم يكن الهمز لغة الراجز وليس ذلك لضرورة شعر لانهُ لو همز لكان الجزء اتم. اه

فقد اتّضح مما سبق تمثيلهُ ان من العرب من كان لا يهمز البتّة. ومنهم من كان على خلاف ذلك اي انهم كانوا يهمزون ما لا يجب همزهُ. وقد نصّ على ذلك صاحب اللسان في اول حرف الهمزة اذ قال:

ومنها همزة الوقفة في آخر الفعل ثقة ببعض دون بعض نحو قولهم للمرأة: «قُولِي» وللرجلين «قُولا» وللجميع: «قُولُوا» واذا وصلوا الكلام لم يهمزوا. ويهمزون «لا» اذا وقفوا عليها. ومنها همزة التوهم كما روى الفرّاء عن بعض العرب انهم يهمزون ما لا همز فيه اذا ضارع المهموز. قال: وسمعتُ امراةً من فقيّ تقول: «رِئْتُ» زوجي بايات. كانها لمّا سمعت رِئات اللبن ذهبتْ الى ان مرثية الميت منها. قال: ويقولون «لَبَأْتُ» بالحجّ. و«حَلَأْتُ» السويق. فيغلطون. لان حلأْتُ يقال في دفع العطشان من الماء. ولبأْتُ يذهب بها اللبأ. وقالوا استشأْتُ الريح. والصواب: استشيتُ ذهبوا به الى قولهم نشأ السحابَ. . قال ابو العباس احمد بن يحيى فيمن همز ما ليس بمهموز:

وكنتُ ارجّي بشر نعمان حائرًا «قَلَوْأَه» باليمين والانف حائرُ

اراده «لوى» فهمز كما قال: «كمشترى بالحمد ما لا يضيرهُ». قال ابو العباس: هذه لغة من يهمز ما ليس بمهموز. . . وقال الزجاج: زعم سيبويه ان من العرب من يخفف الهمزة ولا يجمع بين الهمزتين وان كانتا من كلمتين. قال: واهل الحجاز لا يخففون واحدةً منهما. . . . قال ابو زيد: اهل الحجاز وهذيل واهل مكة والمدينة لا يتبرون (اي لا يهمزون). وقف عليها عيسى بن عمر فقال: ما آخذُ من قول تميم الا بالبر وهم اصحاب البر. واهل الحجاز اذا اضطروا تبروا. (قال) وقال ابو عمر الهذلي: قد توضّبتُ فلم يهمز وحوّلها ياء. وكذلك ما اشبه هذا من باب الهمز. . . قال (ابو زيد) وسمعتُ رجلًا من بني كلب يقول: هذه دَأبة وهذه امرأة شأبّة. فهمز الالف فيهما وذلك انهُ ثقل عليهِ اسكان الحرفين معاً وان كان الحرف الاخر منهما متحركاً» اه كلامهُ بتقديم وتأخير

نعم ان بعض اللغويين كصاحب ادب الكاتب والمزهر واصلاح المنطق اعتبروا خطأً همز ما لم يُنقل عنهم مهموزًا وتركُ همز ما يجب همزُهُ الّا انّ ذلك تصور منهم لان ما كان لغةً عند قومٍ لا يُعتبر خطأً كما رايت من كلام صاحب لسان العرب وصاحب المزهر نفسهِ. وهذا القدر كفاية في هذا الباب وان اتصل بنا الكلام الى الاسهاب

ومن بعد ان نشأ المضاعف والناقص والأجوف والمثال واللفيف الّا المهموز (الذي نشأ بعد كثير من الزمن) بدا في الوجود الصحيح الثلاثي. وقد أسلفنا الكلام عليهِ بالكفاية. واول حروف زيدت على الاصول الثانيّة من بعد حروف المدّ يعني حروف العلّة كانت حروف الذلاقة فضلًا عن حروف الزيادة التي لم يزيدوها فقط في الافعال واوزانها ومشتقاتها بل في اصولها ايضًا يعني في صدرها وحشوها وطرفها. فزادت اللغة زيادةً عظيمةً حتى كادت تصبح وبالًا على من يتكلم بها او يحفظها. ودونك الان امثلة الزيادات القارّة من كل حرف من الحروف المذكورة ١ً في الصدر و٢ً في الحشو و٣ً في الطرف مبتدئين بحروف الذلاقة الستة وهي ل ر ن ب ف م

(ل) ١ً لهذَم في هَذَم. لمسَ في مسّ. ولقسهُ: عابهُ. وقسّهُ: آذاهُ بكلام قبيح. ولقصت نفسهُ كلقست: غثت وخبثت كقزّت بقلب الزاء سيناً

٢ً سلطعَ في سطعَ. سَلحف في سحف لغة في زحف. طلمس الكتاب بمعنى طمسهُ. والثلب في الثعب وهو مخرج الماء من الحوض وغيرها

٣ً الفعمل من قَعُم. وخذعَلَ الشيء في خذَعهُ اي قطعهُ. وحدقّلَ اي أدار حدقتهُ في النظر وهو من الحدق. ورعبل اللحم: رعبهُ اي قطعهُ

(ر) ١ رجسَ الماء: قدّره بالمرجاس. وجسَّ الشيء: مسّهُ بيده. والاخبارَ تفقّصها. والمرجع واحد. ورمَسَ الشيء: مسحهُ بيدهِ. ومسَّ يده: مسحها بشيء. والرُّحامس: الجريء الشجاع مشتق من الحماسة

٢ جَخشَرش في جَخشش وهذه من الجَخش وهو الجفاء. والجحشُ من الجشّ (وموضع جشٌّ: خشن الحجارة). وقرْطبة في قطعة. وبرعطَ في بعطَ

٣ بَحثر في بحث. بَعثر في بعث. سَخفر في سحف مُبدل زحف. قَطْعرَ في قطع عامية. وشَمْخر في شمخ. وفجَّ الشيء. وفجره

(ن) ١ نَبذر في بذر. ونقَضَ بمعنى صوّت كقضَّ. النحرير اصلهُ حِرّير وهو تمام صيغة مبالغة من فعل مزيد وهو حرَّر الكتابَ بمعنى قوَّمهُ وحسَّنهُ

٢ شَنْبَك في شبك. الرَّتر في الرزّ. الانجاص في الاجاص. الخَرْنابتان في الخرَّابتين. الانجانة في الأجانة. القنشورة كجرنوبة كالقَشور

٣ قَطْمنَ في قطعَ. وما عليهِ قرْطامنة بمعنى ما عليهِ قطعةٌ من ثياب. والمُرَيْقصانة كالعُرَيقصا. لنوع من النبات ساقهُ كساق الزازيانج

(ب) ١ بجَل من جلَّ. وتَبَنْجت المراة: بالغت في التنُّج والزيادة ظاهرة. وبَزْمخَ الرجل: زمخَ اي تكبر. وبَخْذعهُ كخذعهُ: قطعهُ

٢ الخَبَرْقصة وهي الحرقصة (الناقة الكريمة). وخبرقَ الشيء. كخرَقهُ ومثل الاول خربقهُ. ويقال ما عليهِ خَرْبصيصة اي شيء من الحليّ والخِرْص من الحليّ

٣ العقرب من العقر (وهو العضّ). وخذعب الشيء. خذعهُ اي قطعهُ. وتسعَبَ الشرابُ في تسعَبَ: اذا تمطّط. والدُّعبب في الدُّعابة

(ف) ١ الفدوكس مثل الدوكس وهو الاسد. وفرْتكَ الرجلُ: مشى مشية متقاربة. ورَتَكَ البعيرُ: قارب خطوهُ في رَملانهِ. ومؤدَّى فرتخَ كرتخَ

٢ كنَّ الشيء: سترهُ وغطّاهُ واخفاهُ. وكفنَ الخبزةَ في المِلّة: واراها بها. وكفَتَ الطائر وغيرهُ: اسرع في الطيران والعدو. وكتَّ فلان: قارب الخطو في سرعةٍ

٣ نشفَ الغدير في نشَّ. وخطرفَ البعير في خطَر (التاج). والخذروف كالخذرة وهو طين يلعب بهِ الصبيان. والخَطْرف كالخطير (التاج)

(م) ١ مخض من خضَّ. وامرخَدَّ: استرخى وهو من الرُّخودة وهي اللين

والنعومة. وسَرِج الخاتم قلق ورجّ الشيء: حرّكهُ فرجّ هو اي تحرّك

٢ خطمرَ القوسَ في حطرَها. جلمحهُ في جلحهِ. السَّرْمدَ من السَّرْد (التاج في سرد). جلمطَ راسهُ في جلطهُ. وقصل الشيء قصلهُ اي كسرهُ

٣ خضرم (في خُضار علَم للبحر) والجلهسة والزُّرقم والشُّتهم والشَّدقمُ. والحُلكُم والجحظم. والسِّرطم. والحلمُ والكَلدم. والصلديمُ. وقرصمَ الشيء: قطعهُ من قرصهُ. وزيادة الميم في الآخر مشهورة قد صرّح بها جميع اللغويين على الاتفاق (١

ولمّا استحكمت في انفسهم ملكة زيادة احرف الذلاقة على الالفاظ في اي موطنٍ من مواطن اصولها انتقلوا الى زيادة غير هذه الحروف على الاصول الثنائيّة حتى تجاوزوا الى التصرُّف بجميع حروف المعجم فتوّجوا بها الثنائيّات وحشوها وطرّفوها او ذيّلوها بموجب اغراضهم. وكنا نودّ ان نذكر شواهد على هذه الحروف المزيدة كما فعلنا في احرف الذلاقة الّا انّ هذا يطول وليس هذا الموطن موطنها غير انهُ ما لا يُدرك جلُّهُ لا يُترك كلهُ بل يُذكر قلّهُ فدونك بعض الشواهد اثباتاً لراينا هذا. وهو ولا شك رأي حديث لم يتعرّض لذكرهِ احد من اللغويين السّابقين من اقدمين ومحدثين يعني على المذهب الذي نذهب اليهِ ونظنهُ مثلاً للحقيقة وصورةً منقولةً منها بدون ادنى مبالغة. من ذلك:

القُلْبُ كاللبّ اي شحمة النخلة او اجود خوصها. والقَرْقفة. قال في اللسان: القرقفة الرِّعدة وقد قرقفهُ البرد ماخوذ من الارقاف كرّرت القاف في اولها. اه. والزَّحْتف: الزاحف على استهِ. والقياس من جهة الاشتقاق ان يكون بقافين من زحف (عن القاموس) وقالوا: زلق واصلهُ: زلّ. فهذه القاف من اثقل الحروف لفظاً زيدت في الاول وفي القلب وفي الذيل فما القول في سائر الحروف التي هي اخفُّ منها على اللسان والاذان. ومن هذا القبيل: الحرقصةُ كالرقص ومغطهُ ومعطهُ كمطّهُ والحنفس والحنفسةُ والحنفساء والحنفساءة بمعنى واحد. والاصل في كل ذلك «ف س» ومنهُ مادّة «ف س و» فانظر حرسك الله كيف صار الثنائيّ ثلاثيّاً ثم رباعيّاً ثم خماسيّاً ثم سداسيّاً ثم سباعيّاً

١) راجع مثلاً ما قالهُ ابن الاثير والازهري وابو حيّان في زيادة الميم في الآخر (التاج في مادة ج ل ه م)

ثم انظر الى سبب زيادة كلّ حرف جديد على ما تقدّم وتأخر من حرفي أصول هـذه اللفظة فانّ المادة « ف س » متّفقة على هذا المعنى في جميع لغات الدنيا . وزادت العرب الواو وهو من حروف المدّ (يعني حروف العلّة) في مؤخر اللفظـة وفي ذلك اشارة لا تخفى على الباحث ولا يُحتاج الى ان ينبّه عليهـا فضلًا عن ان مضاعفها الرباعي وهو « فـنفـن » لا يخرج عمّا في « فنّ » او « فسو » من المعاني . ثم انظر كيف انهم جعلوا في أنف مادة « ف س » النون اشارة الى اخراج الروح او الريح من مكان محصور وقد اشرنا الى ذلك في صدر هذه المقالة وجميع اللغات تستعمل النون والفاء معاً للدلالة على هذا المؤدّى ومن ذلك في الفرنسيّـة renifler, ronfler, souffle وكذلك في سائر اللغات الارمية والهنديّة الجرمانيّة وقد اثبتوا النون في أنف المادة (وهي ف س) وفي ذلك من دقيق الاشارة ما فيه اذ ان الانف هو العضو الذي يظهر فيه التنفّس ظهوراً أبين مما في غيره من الاعضاء . وان بواسطته تدخل الريح والروح المـاديّة الى داخل الجسم واذا خرجت من غير مدخلها فانها تخرج تخرج منـهُ . وفي ذلك من الحكمة في وضع هذه الحروف ما لا يمكن ان يُعبّر عنهُ قلم الواصف . ومن بعـد ان تدرّجوا في المادّة ووصلوا في تاليفها بصورة « نفس » وضعوا في راسها الخـاء . وهي حرف الرخاوة والخفّة والخفاء تلميحاً الى ما في هذا الصوت الطبيعي من مدلولات خواصّ الخـاء وتخصيص هذا الامر بهذه الدويبة اجدر من غيرها . فصارت الكلمة خنفس وهو الدويبة الذكر من هذه الدويبات . ثم زادوا على آخرها الهاء للاشارة الى التأنيث . ولمّا مدّوا الكلمة وقالوا « خنفساء » ارادوا زيادة في القدر والكبر في الدويبة . ولما قالوا « خنفسـاءة » بهاء بعد المدّ ارادوا تخصيص الافراد . فهل بعد هذا التبيين المبين من يقول ان الالفاظ وُضعت بدون تدبُّر وحكمة ولاسيما اللغة العربيّة التي تألفت اصولها على اصوات منشأها محاكاة الطبيعة . فسبحان خالق الاكوان الذي علم الانسان هذا السحر سحر النطق والبيـان وجعل اللسان ترجمان سرائر الفكر والجنان

ومن هذا الوادي قولهم : كبّار وطوّال وطرمّاح للمفرط الطول وسمعنّـة ونظرنّة للكثيرة التسمّع والتنظّر (عن المزهر ١ : ١٥٧) ومنهُ دحدره من حدره وكذلك جحدره . وفي الاول زادوا دالًا في الصدر وفي الثاني زادوا جيماً . وخضرب الماء بمعنى ضرب يعني تحرّك . وقالوا : رجل مصمعدّ اي منتفخ من شحم او ورم والمشمعدّ من الجداء المتلئ

شحماً وكلاهما من مقدّ بدنه: اذا سمن ولمتلأ. ورجل وشجر مُعَجرد وعجرّد: عريان وهما من التجريد. وتبشق الماء من الحوض: اذا انكسرت منهُ ناحيـة فخرج منها وهو من البشق ويحتمل ان يكون من الشعب مقلوباً على حدّ قولهم ادرمع من دمر: اذا دخل بغير اذنٍ فتكون القاف مزيدة. ومن هذا المورد: ازلقب الشعر: اي نبت بعد حلقهِ وهو من الزغب بزيادة اللام. وبلدح: ضرب بنفسهِ الارض وهو مثل بلّد وجاء بمعناهُ بلطح وحسبٌ قدموس اي قديم فزادوا السـين واخرجوهُ على فُعلول. وافرقعوا اي تفرقوا والعين زائدة والنون للالحاق. والدهاريس: الدواهي من دهرهم امرٌ اذا نزل بهم مكروهٌ. والقرناس: شبهُ الانف يتقدم من الجبل كأنهُ ماخوذٌ من القرن. والجلخطا: الارض لا شجر فيها كأنهُ من الجلح. والضبارز: المضبّر الخلق المرتق فهو من التضبير والزاي زائدة. والقلهبس: المسنُّ من حمر الوحش. وجاء القهب بمعنى الجمـل المسنّ. والقلهزم: القصير الضخم الراس والهزمتين كأنهُ منحوت من كلمة قصير وكلمة اللهزمة. والخندلس: الناقة الكثيرة اللحم المسترخية. ويقال: امرأة خدلة وخدلاء. وهي المتلئة اعضاؤها لحماً في دقّة عظام. وجاء الخندلس بمعناه وهو ابدال او تصحيف

ومن هذا الباب تكثير الحروف بتكريرها واكثر مـا يقع ذلك في ذيل الكلم كاتان قيدود من القوَد. ورماد رِمْدِد ورِمْديد. والظنبوب من الظنب. والعرَندد من العرد. والرِعْديد من الرعد. والرعشيش من الرعش. والشعرور من الشعر. والحرجوج من الحرَج. والقعنسس من القعس

وقد تقع هذه الزيادة في صدر الكلام وقلبها من ذلك: جمل قِهقَب من القهب. ومثلهُ القهقَم وهو ابدال. وعجوز شَشليق او شقشليق وهو مبالغة لقولهم شملق اي كبيرة ويقال ايضاً شلمق وهذا قلب ذاك او بالعكس. والقرقس هو القرس اي صغار البعوض. ودَرْدب بالشيء من دَرِب بهِ. ودهدمهُ من هدمهُ. وما في السماء طحواي لطخ من سحاب ومثلهُ بل اذا بالغوا قالوا طحمرة وطحمير وطخرورة فاذا ارادوا نهاية المبالغـة قالوا ما فيها طَخَيرية. (راجع في هذا الباب وهذا المعنى ما كتبهُ الشيخ محمود شكري افندي الالوسي في المشرق ١: ١٠٢٥ و١٠٢٦)

ولقد تطفل بنا الكلام الى حيث لم يدُرْ في خلدنا. الّا اننا نسرع بايعاد البـاب موقتاً ولو اننا لم نتعرّض الّا الى شيء تزر منهُ مؤجلين هذا البحث الى فرصة أخرى فيه

تذكر: ١ً خصائص الموازين العربيَّة وكيفيَّة نشوئها ٢ً خصائص الصيغ اللغوية ٣ً خصائص الحروف العربيَّة ٤ً خصائص اللغة العربية نفسها ٥ً الحركات المفقودة ٦ً الحروف الضائعة ٧ً متعرضات اللغة التي لم تصل الينا من كلام وبيان ومعان وعند ختام هذه الاقسام السبعة العظام يفرغ الكلام عن مجمل نوشئ هذا العهد الذي هو ايضاً عهد الانتظام وعليك السلام

كتابات شرقيَّة جديدة

مكتوبة على البَرْديّ ومكتشفة في مصر

للاب سبستيان رتزقال اليسوعي مدرّس الاثار الكتابيَّة في المكتب الشرقي (نتمّة)

صدَّرنا مقالتنا السابقة عن الكتابات الارميَّة الجديدة المكتشفة في مصر بوصف الحفريَّات التي اجراها الفرنسويون والالمان في جزيرة اسوان واكتفينا بترجمة واحدة من الكتابات الثلاث التي نشرها الدكتور ساخو وهي اكبرها ثمَّ التقاطها بعض الملحوظات في تاريخ مستعمرة اليفانتين اليهوديَّة وفي هيكل الرب (يهوه) وتعريف عبارة «اله السماء» الموصوف بها اله اسرائيل في تلك الكتابة . وقد بقي علينا بعض الشروح التاريخيَّة على تلك الكتابة الخطيرة مع تعريب الكتابة الثالثة مشيرين عن الثانية لانها كما قلنا نسخة الاولى وصورتها

على انَّ في وجود هذه النسخة الثانية لأمرًا يستدعي الالتفات فانه يؤخذ من بقائها انَّ الكهنة اليهود في جزيرة اسوان اصطنعوا من هذه العريضة ثلاث نسخ على الاقل: الاولى ضائعة وهي النسخة المرسلة الى الحاكم الفارسيّ الذي كان يحكم على اليهود ولنا دليل على وجودها في الكتابة الثالثة التي نعرّبها آنفاً وهي تتضمن جواب الحاكم «بجوهي» امَّا النسختان الأُخريان فهما اللتان استخرجهما الالمان في حفريَّات الجزيرة كما سبق

ومن غريب امر هاتين النسختين المكتشفتين انَّ بينهما بعض اختلاف لا يمكن نسبتهُ الى النسَّاخ فقط . والغالب على ظننا انَّ الواحدة منهما هي المسوَّدة التي اصطنعها اصحاب العريضة فنسخها النسَّاخ بعد تحوير بعض الفاظها وأرسلت الى الحاكم .